بحث طريف

في ناصيف وناصيف ونصيف

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي
نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

أول ما يخطر ببال اللغوي عند سماعه اسم من اسمه (ناصيف) بكسر الصاد من دون ياء بعدها — وأشهرهم الأديب المصري الكبير حفني بك ناصف — أن كلمة (ناصيف) من الكلمات الفصحى . وانها صيغة عربية لا شائبة فيها . وانها مشتقة من (النصافة) وهي مصدر نَصَفَهُ إذا خدمهُ : فناصيف خادم . وهذا المعنى هو المراد من اسم (ناصيف) في الأرجح : فمن سمى ابنهُ (ناصيفاً) كأنهُ اراد التواضع في هذه التسمية أي تسميتهُ بالخادم على حد قولهم « خادم القوم سيدهم »

وما يدرينا ان يكون والده انما سمّاه بذلك رجاء ان يعيش مذ جعله خادماً لاحد الأولياء كالبدوي مثلاً . وتكون الاضافة للبدوي قد استعملت او لوحظت اولاً ، ثم ترسيت بعدة واحدة : وهذا كلقب (الصاحب ابن عباد) فان أصل (الصاحب) (صاحب ابن العبد) ثم اكتفوا بالصاحب ، وأصبح ذلك لقباً له . وما اسم (ناصيف) في لهجة أهل الشام ولا سيما لبنان فهو يلفظ بياء زائدة بعد الصاد هكذا (ناصيّف) ، وأشهر من سمي به (الشيخ ناصيف اليازجي) الشاعر اللبناني المشهور ، وهذه الياء الزائدة في (ناصيّف) هي ياء إشباع أي اشباع كسرة الصاد : فقد كسرة فتولد منها ياء . وهو مما يفعله العرب في بعض كلماتهم ، وله شواهد كثيرة ، وخصه بعضهم بالشعر فيكون ضرورة

وبعد ان تكون كلمة (ناصيف) ذات الياء محرفة عن (نَصيف) بمعنى نصف الشيء . ولقائل ان يقول : إن أصل (ناصيف) بالياء ، نصيف بمعنى خادم كالناصف . وقد سمى المتأخرون أبناءهم نصيف ، وأشهر من سمي به في الحجاز (محمد نصيف) وجيه جدة وأكبر أعيانها . وتأويل التسمية بنصيف على معنى الخادم كالتأويل الذي ذكرناه في ناصف

وأردت ان أستأنس بكتب اللغة فراجعت التاج فوجدته يقول في استدراكاته على القاموس ما نصه (وقد سمو ناصيفاً) أي ان العرب يسمون أبناءهم ناصفاً ، لكنه لم يبين لنا وجه اشتقاقها ، فلم تبق شبهة في ان العرب يعرفون ناصفاً (من دون ياء) علماً . ولم يذكر

تاج نصيفاً ولا ناصيفاً (بالياء) في أعلام العرب . فيكون الظاهر في كلمة (ناصيف) انها كلمة عربية عامية مولدة من (ناصف) باشباع كسرة صادها . أما (نصيف) فعربية محضة بمعنى الخادم ، لكنهم أي العرب الاقدمين لم يسموا بها

واتفق لي ان كنت أطالع رسالة للمعلم نقولا الترك اللبناني ضمنها حوادث حملة نابليون على مصر وسوريا وهذه الرسالة منشورة برمتها في تاريخ الامير حيدر الشهابي ، فرأيت المعلم نقولا يذكر بين رجال ذلك العهد اسم (ناصيف باشا ابن العظم) وكرر ذكره بهذا الاسم او بهذه الصيغة ، فسألت صديقي وجيه دمشق الكبير بديع بك المؤيد العظم هل كان يوجد في أجداده من اسمه (ناصيف باشا) وذكرت له الحادثة التاريخية التي ذكرها المعلم نقولا وقد جرى فيها اسم (ناصيف) بياء ، بعد العناد مراراً . فقال هو (نصوح باشا ابن سعد الدين باشا) وهو جد والدي وله مشاركة في الاحداث التي وقعت في القطر المصري عند خروج نابليون وقبل استيلاء محمد علي . وتعجب معاليه من تسمية جده باسم ناصيف وتساءل عن السبب . ثم قال : إن جده هذا مدفون في حماه وان القبة التي دفن تحتها تسمى قبة ناصيف (بالياء) . وكذا قهوة كان بناها وما زال اهل حماه الى اليوم يسمونها (قهوة ناصيف)

فجعلتُ من يومئذٍ أفكر في كيف نشأ هذا التحريف من نصوح الى ناصيف . حتى تصفحت يوماً تاريخ (خلاصة الاثر) للمحبي الدمشقي . فوقع نظري على ترجمة (نصوح باشا) الذي تقلد ولاية حلب قبيل سنة الف وعشرين للهجرة أي منذ اكثر من ثلاثمائة سنة وأصبح (داماداً) بعد ذلك . فقال المحبي في ترجمته ما نصه : (نصوح باشا وشهرته بناصيف باشا ، وهذه عادة الاتراك في تلاعبهم بالحروف فيقولون في نصوح ناصف . وتبديلاتهم ليس لها حد يحصرها ، ولا قاعدة تضبطها . اهـ) فقلت في نفسي (قطعت جهيزة قول كل خطيب) وهذا التحريف اي تحريف نصوح الى ناصف — وان كان غريباً — لا نجد بدّاً من قبوله ، لأن العلامة المحبي الذي دلنا عليه من أعرف الناس بثقافة ذلك الزمن ، وهو أديب كبير في اللغة العربية . ولا نظنه يجهل اللغة التركية ولا شيئاً من ثقافة أتراك زمنه . وقد رحل الى عاصمتهم ودوّن في تاريخه تراجم طائفة كبيرة من علمائهم وأدبائهم ، وله فيهم أصدقاء ومراسلون . على أن قوله هذا في تحريف نصوح او ناصف إنما ينطبق على اللهجة التركية العامية بين عامة الاتراك . وأما خاصتهم فيلفظون نصوح على عروبتها . هذه العلامة (جودت باشا) في تاريخه يذكر اسم (نصوح باشا العظم) عشرة بعد المرة ولا يسميه الا (نصوح) لا (ناصيف) ، فلا حرج علينا بعد كل ما تقدم أن نقرر المسألة هكذا :

إنهُ يوجد بين اسماء الاعلام العربية اسم (ناصيف) وهذا الاسم تارةً يكون عربيًّا محضاً كما في مستدرك التاج ، وهو مشتق في الغالب من (النصافة) ، بمعنى الخدمة ، وتارة يكون

مولداً حرّفته اللهجة التركية عن اسم (نصوح) . فنصوح باشا حرّفهُ الأتراك الى ناصف باشا ، ونطقوه بلا من دون ياء كما يفهم من الحبي . أما المعلم نقولا الترك ومعاصروه فقد لطفوا به (ناصيف باشا) بزيادة ياء . فناصيف هي طريقة لبنانية سمّى بها الشيعة والمسيحيون طائفةً من أبنائهم : ناصيف باش الأسعد وجده الأعلى ناصيف النصّار ، وناصيف الخلوف ، وناصيف اليازجي وغيرهم . فالشيخ ناصيف اليازجي يكون الصواب في اسمه إذن (الشيخ نصوح اليازجي) فليصحح اخواننا اللبنانيون اسم شاعرهم إن شاءوا ، ويا ليت ابنه العلامة الشيخ ابراهيم يكون حيًّا ويقرأ ما قلناه في تصحيح اسم أبيه فنسمع فتواه في هذه المسألة . فانه لعمري ابن مجدها وفارس حلبتها . واذا رتبنا الكلمات الثلاث ترتيباً قاموسيًّا قلنا في ترتيبها وتفسيرها هكذا

(ناصيف) بكسر الصاد اسم علم عربي محض كما يفهم من مستدرك التاج

(ناصيف) أيضاً اسم علم عربي غير محض للعروبة حرّفهُ الأتراك العثمانيون من اسم (نصوح) . قاله المحبي في تاريخه

(ناصيف) بزيادة ياء بعد الصاد اسم علَم مولد . وليس بعربي محض . وهو يحتمل أن يكون محرّفاً من اسم (ناصف) المحرف من (نصوح) فيكون فيه تحريفان تحريف ولدتهُ اللهجة التركية عن (نصوح) وتحريف ولدتهُ اللهجة اللبنانية عن (ناصيف)

من وحي الروح

« وأين كل ما صبغته الشمس والكواكب من نيرانها ، وما أخرجته فصول الأرض
« من وشيها وألوانها ، وما هتفت به الطير من أغاريدها وألحانها ، وما تلاطمت به الدنيا
« من أمواج انسانها . أين ما صح وما فسد ، وما صدق او كذب ، وما ضر او نفع ، وما
« علا أو نزل ؟ في كل لحظة تمتلىء هذه الدنيا لتفرغ ثم تفرغ لتمتلىء ، وماضيها ومستقبلها
« مطرقتان يمرّ بينهما كل موجود لتحطيمه . وكأن الحياة ليست أكثر من تجربة للحياة
« زمناً يقصر او يطول ، وما العجيب ان لا تنجح التجربة في أحد ولكن العجيب ان
« لا تنقطع وهي لا تنجح ، والعالم كالبحر من السرب يموج به اديم الأرض ثم لا تملأ
« امواجه صلعقة ، والحقيقة في كل شيء لا تزال تفر من تحليل الى تركيب ومن تركيب
« الى تحليل ، لأن شعور اهل الزمن بالزمن لا يحتمل المعنى الخالد ، ولعل سبب الموت
« انك لا تجد انساناً يعيش في حقيقته الانسانية فلا هذه الحقيقة تُستر لك كاملة ولا هو
« خُلق هنا كاملاً ، وفي الانسان كالطبيعة ارض وسماء فمن ابى لا يتعشّاه ما فوقه غير الظل
« وقد خلق مقسوماً ، شقة منه في ارضه وشقة في سمائه ، فاذا حضره الموت ضرب الضربة
« بين هاتين فاخذت السماء السماء وجذبت الارض الارض » (لمصطفى صادق الرافعي)